

منافع اللَّيْلِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسَنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ
الْوَثْقَى.

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ:

خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَأَتَقَنَهُ، وَدَبَّرَ مَا خَلَقَ فَقَدَّرَهُ، وَفَتَقَ السَّمَاءَ عَنِ
الْأَرْضِ وَزَيَّنَّهَا، وَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ، فَمَحَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلَ آيَةَ
النَّهَارِ مَبْصُرَةً، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ بِمَقْدَارِ
يَعْلَمُهُ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ بَعْدَ إِدْبَارِ النَّهَارِ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ أَلَيْلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ
مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

أَقْسَمَ اللَّهُ بِوُجُوهِهِ عَلَى النَّهَارِ شَيْئًا فُشِيئًا مِنْ غَيْرِ إِفْزَاعٍ لِلْبَشَرِ، فَقَالَ:
﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، وَأَقْسَمَ بِهِ إِذَا غَشِيَ الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤]، وإذا غطى الخلائق بظلامه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، وأقسم به إذا سكن فأظلم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢]، وإذا جمع ظلامه كله واذلهم ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، وإذا كشف غطاءه عن الخلق فاستناروا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣].

وهو آية عظيمة ترى بالأبصار تدعو إلى تعظيم الله وإفراده ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [القمان: ٢٩]، ورحمة من رحمته بعباده ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣]، وتقليب الليل والنهار برهان على قوته وإحكام ملكه، وتحدي الخلق جميعاً أن يحولوا الليل نهاراً ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ [القصص: ٧١]، وتدييره له بتقدير يجهله البشر ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

والتفكير في تدييره يدعو إلى عبادة الله وذكره وشكره ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وهو منة من الله، أمر عباده أن يشكروه عليها ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكُمُ اللَّهُ لَدُو فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وهو داعٍ إلى إيمان العباد بربهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوزًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكُمُ اللَّهُ لَدُو فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

في الليل يتناقل أهل النفاق عن الطاعة؛ فأتقّل الصلاة عليهم صلاة العشاء والفجر، وهو زمن التعب، النافلة فيه أفضل من نافلة النهار، قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل» (رواه مسلم)، وتعلّق القلوب فيه بالله أرجى؛ فأمر الله رسوله بالإكثار من الصلاة والتسبيح فيه ﴿قُرْ آيَاتِ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [المزمل: ٢]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ لِرَبِّكَ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾

[الإنسان: ٢٦]، واقتفى الصالحون أثره ف ﴿كَأَنَّهُ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

وفيه صلاة الوتر، والله وتر يحب الوتر، و«صلاة آخر الليل مشهودة» (رواه مسلم)، و«من صلى العشاء في جماعة؛ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة؛ فكأنما قام الليل كله»، و«في الليل ساعة - من مغيب الشمس - لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله من خيرِ الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه» (رواه مسلم)، وفي الثلث الأخير منه ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»، وهو زمنٌ تُرجى فيه توبة التائبين، نزلت توبة الذين خُلفوا في الثلث الأخير من الليل (رواه البخاري).

والقرآن نزل ليلاً ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وأفضلُ زمن لتلاوته هو الليل، قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وفيه ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر. وأُسرى بالنبي ﷺ ليلاً. والليل بظلامه مفرع، و«من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتْهُ - أي: من الشرور -» (متفق عليه)، وفي أول الليل تنتشر الشياطين؛ فأمر النبي ﷺ: «إذا كان جُنْحُ اللَّيْلِ - أي: أوله - فكفُّوا صبيانكم، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم» (متفق عليه). وفي صلاة الفجر تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار.

والنوم من نعم الله الجسيمة، يحتاجه الغني والفقير، وبفضل من الله جعله يسيراً في كلِّ مكان، وبناله كلُّ مخلوق بلا ثمن، ليس بمتاعٍ يحمله المسافر فيُجهد، ولا بذي ثمنٍ لا يجد الفقيرُ ثمنه فيحزن، ولا جرمٌ له يَعْجز الضعيفُ والصغيرُ عن نقله؛ بل تُغمض العينان، فترتفع الروح، فينال الجسدُ الراحةَ والسكون، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩].

وهو من آيات الله العظيمة الدالة على قوته وجبروته، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ ءَايَنِهِ مَنَامُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣]، يُميت البشر بالنوم، ثم يوقظهم متى شاء، إذا شاء، قضى سبحانه أن تكون نومة أهل الكهف ﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سَعَاءً﴾ [الكهف: ٢٥]؛ فكان ما شاء، وهو سبحانه حيٌّ قيومٌ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ولا تأخذه سنةٌ ولا نوم، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقَسَطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» (رواه مسلم)، والشيطان يتخبَّط العبدَ في منامه، و«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ قَبْلَ نَوْمِهِ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يَصْبِحَ» (رواه البخاري).

والرؤيا الصالحةُ في النوم من الله، و«الحلم من الشيطان، فمن رأى رؤيا صالحةً؛ فليحمد الله عليها، وليحدِّث بها من يحبُّ، ومن رأى حُلماً من الشيطان؛ فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شرِّها، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لا تضرُّه» (متفق عليه).

والنوم قسيم الموت ويُذكَرُ به، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وكم من نائمٍ مات في نومه؟! ومن دعاء النبي ﷺ عند نومه: «إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا» (متفق عليه)، و«إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَقَدَ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَتِهِ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَىٰ كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ؛ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ؛ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى؛ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» (متفق عليه).

والاستيقاظ بعد النوم نعمةٌ من الله تُشكر، وكان النبي ﷺ إذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أماتنا، وإليه النُّشور» (رواه

البخاري)، ودعوة المستيقظ من الليل مع الذكر مستجابة، وصلاته مقبولة، قال النبي ﷺ: «من تعارَّ من الليل - أي: استيقظ - فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثمَّ قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، إلا استجيب له، فإن تَوْضُّأً وصلَّى؛ قُبِلت صلَّاتُه» (رواه البخاري).

ومن نام ولم يستيقظ للصلاة حتى يُصبح؛ بال الشَّيْطَانُ في أذنه، وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يَشُوصُ فاهُ بالسَّوَاكِ، و«من استيقظ من نومه؛ فليذكر الله، وليغسل يديه ثلاثاً، وليستنثر ثلاثاً، فإنَّ الشَّيْطَانُ يَبِيتُ على خيشومه» (متفق عليه).

والسَّعِيد من تفكَّر في خلق الأرض والسَّمَوَاتِ، واغتنم أنفَسَ دهرِه بالقربات، ودخل في ليله وخرج منه بالأعمال الصَّالِحَاتِ ومجانبةِ السَّيِّئَاتِ.

أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *
وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

عمرُ الإنسان ليلاً ونهاره، ومنزلته في الآخرة بأعماله في الدنيا، وساعات الليل خير أزمان الأعمار، ووُلُوج ليلٍ كلِّ يوم يُدني من الحساب، والبصير من سابق إلى الخيرات وابتعد عن السيئات، والله مَطَّلَعٌ على عباده، يعلم سرَّهم وعلاانيتهم، وما اقترفوه من سيئات في ليلٍ أو نهارٍ، فاجتهدوا في طاعة ربِّكم، وتدبَّروا أحوال دهركم؛ تَقَرُّبُوا من ربِّكم.

ثمَّ اعلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمْرَكُم بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ . . .